

تفسير البحر المحيط

@ 443 @ التحرير والتحرير : هذا نوع من أنواع علم البيان تسميه علماؤنا استدراج المخاطب ، وذلك أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى ، والقوم على تكذيبه ، أراد الانتصار له بطريق يخفي عليهم بها أنه متعصب له ، وأنه من أتباعه ، فجاءهم من طريق النصيح والملاطفة فقال : { أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ } ، ولم يذكر اسمه ، بل قال رجلاً يوهم أنه لا يعرفه ولا يتعصب له ، { أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ } ، ولم يقل رجلاً مؤمناً بالله ، أو هو نبي الله ، إذ لو قال شيئاً من ذلك لعلموا أنه متعصب . ولم يقبلوا قوله ، ثم اتبعه بما بعد ذلك ، فقدم قوله : { وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا } ، موافقة لرأيهم فيه . ثم تلاه بقوله : { وَإِنْ يَكُ صَادِقًا } ، ولو قال هو صادق وكل ما بعدكم ، لعلموا أنه متعصب ، وأنه يزعم أنه نبي ، وأنه يصدق ، فإن الأنبياء لا تخل بشيء مما يقولونه ، ثم أتبعه بكلام يفهم منه أنه ليس بمصدق ، وهو قوله : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ } . انتهى . .

ثم قال : { عَلَيَّهِ قَوْلٌ } نداء متلطف في موعظتهم . { لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ } طاهرين : { أي عالمين : { في الأرض } : في أرض مصر ، قد غلبتم بني إسرائيل فيها ، وقهرتموهم واستعبدتموهم ، وناداهم بالملك الذي هو أعظم مراتب الدنيا وأجلها ، وهو من جهة شهواتهم ، وانتصب ظاهرين على الحال ، والعامل فيها هو العامل في الجار والمجرور ، وذو الحال هو ضمير لكم . ثم حذرهم أن يفسدوا على أنفسهم بأنه إن جاءهم بأسس الله لم يجدوا ناصراً لهم ولا دافعاً ، وأدرج نفسه في قوله : { يَنْصُرُنَا } ، وجاءنا لأنه منهم في القرابة ، وليعلمهم أن الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه . وأقوال هذا المؤمن تدل على زوال هيبة فرعون من قلبه ، ولذلك استكان فرعون وقال : { مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى } : أي ما أشير عليكم إلا بقتله ، ولا أستصوب إلا ذلك ، وهذا قول من لا تحكم له ، وأتى بما وإلا للحصر والتأكيد . .

{ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } ، لا ما تقولونه من ترك قتله وقد كذب ، بل كان خائفاً وجلاً ، وقد علم أن ما جاء به موسى عليه السلام حق ، ولكنه كان يتجلد ، ويرى ظاهره خلاف ما أبطن . وأورد الزمخشري وابن عطية وأبو القاسم الهذلي هنا أن معاذ بن جبل قرأ الرشاد بشد الشين . قال أبو الفتح : وهو اسم فاعل في بنية مبالغة من الفعل الثلاثي رشد ، فهو كعباد من عبد . وقال الزمخشري : أو من رشد ، كعلام من علم . وقال النحاس : هو لحن ، وتوهمه من الفعل الرباعي ، ورد عليه أنه لا يتعين أن يكون من الرباعي

، بل هو من الثلاثي ، على أن بعضهم قد ذهب إلى أنه من الرباعي ، فبنى فعال من أفعال ، كدراك من أدرك ، وسآر من أسأر ، وجبار من أجبر ، وقصار من أقصر ، ولكنه ليس بقياس ، فلا يحمل عليه ما وجدت عنه مندوحة ، وفعال من الثلاثي مقيس فحمل عليه . وقال أبو حاتم : كان معاذ بن جبل يفسرها بسبيل □ . قال ابن عطية : ويبعد عندي على معاذ رضي □ عنه . وهل كان فرعون إلا يدعي أنه إله ؟ وتعلق بناء اللفظ على هذا التأويل . انتهى . وإيراد الخلاف في هذا الحرف الذي هو من قول فرعون خطأ ، وتركيب قول معاذ عليه خطأ ، والصواب أن الخلاف فيه هو قول المؤمن : { اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ } . قال أبو الفضل الرازي في (كتاب اللوامح) له من شواذ القراءات ما نصه : معاذ بن جبل سبيل الرشاد ، الحرف الثاني بالتشديد ، وكذلك الحسن ، وهو سبيل □ تعالى الذي أوضح الشرائع ، كذلك فسره معاذ بن جبل ، وهو منقول من مرشد ، كدراك من مدرك ، وجبار من مجبر ، وقصار من مقصر عن الأمر ، ولها نظائر معدودة ، فأما قصار فهو من قصر من الثوب قصارة . وقال ابن خالويه ، بعد أن ذكر الخلاف في التناد وفي صد عن السبيل ما نصه : سبيل الرشاد بتشديد الشين ، معاذ بن جبل . قال ابن خالويه : يعني بالرشاد □ تعالى . انتهى . فهذا لم يذكر الخلاف إلا في قول المؤمن : { أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ } ، فذكر الخلاف فيه في قول فرعون خطأ ، ولم يفسر معاذ بن جبل الرشاد أنه □ تعالى إلا في قول المؤمن ، لا في قول فرعون . قال ابن عطية : ذلك التأويل من قول فرعون وهم . .

{ وَقَالَ السَّامَنُ يَا قَوْمِ * قَوْمِ * إِنِّي أَخَافُ عِلَاقِكُمْ مَثَلِ
يَوْمِ الْاِحْزَابِ * مَثَلِ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّاهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ * لِّلْعِبَادِ * وَيَا قَوْمِ
إِنِّي أَخَافُ عِلَاقِكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا
لَكُمْ مِّنَ اللَّاهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّاهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ *
وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالآيَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا
جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَوْلَا أَن يَأْتِيََنَا مِنْ بَعْدِ رَسُولِ كَذَلِكَ
يُضِلُّ □ من هو مسرف مرتاب ، الذين يجادلون في آيات □ بغير سلطان آتاهم كبر مقتا عند □ وعند الذين) { .